فيلم اللبنانية جوسلين صعب الذي اثار ضجة في القاهرة

«دنيا»: نظرة استشراقية لواقع المرأة المصرية

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من كمال القاضي:

عادة ما تثير الأفلام التي تتناول قضايا اجتماعية شائكة جدلا واسعا وتتسبب في ارباك حقيقي لمفاهيم المتلقي، خاصة اذا كانت متصلة اتصالا مباشرة بالأخلاق او العادات والتقاليد أو الدين، وعلى الرغم من اقبال الجمهور الشديد على الأفلام الاباحية بمهرجان السينما، الا أن هناك اشكالية غريبة في تعامله الخاص وردود أفعاله تجاه ما يتصور أن به مساس بالثوابت الاجتماعية، والجمهور المصاب بـ«شيزوفرانيا» السينما هو قطاع كبير يقف دائما بالمرصاد لأي محاولة تغيير في النمط الفني والمعالجات الدرامية.. وعلى هذا يتم وئد الأفكار التحررية قبل ميلادها أو أن أصحابها يتعرضون لاضطهاد شديد لو قدر لأفكارهم أن تخرج الى النور.

من بين الأفلام التي عرضت خارج المسابقة الرسمية لمهرجان القاهرة الفيلم المصري «دنيا» للمخرجة اللبنانية «جوسلين صعب».. هذا الفيلم استحوذ على الاهتمام الأكبر من جانب الصحافيين والنقاد وأثار عاصفة من الاحتجاجات والرفض ترجع بالأساس الى جرأة موضوع الفيلم وحساسية الجمهور من النقد اللاذع الذي وجهته المخرجة اللبنانية جوسلين صعب للمجتمع المصري، علما بأن أفلاما كثيرة قد تعرضت لسلبيات اجتماعية وسياسية أشد خطورة ولم يكن لها هذا الصدى العدواني، ويناقش الفيلم في سياق فني وأحد المحظورات التي فرضها المجتمع على نفسه باسم الدين والأخلاق، ويضع في القلب منها قضية الحب بمفهومه الغريزي والصوفي والرومانسي، منطلقا من مرجعية علمية ترصد تداعيات الخلاف والجدل وتبحث عن الظاهر والمستتر في كتب التاريخ والأدب والشعر في محاولة للتأكيد على شرعية الحب كاحساس انساني وسلوك ذات صلة وطيدة بحركة الكون ودورة التناسل الطبيعية الواجبة لاستمرار الأجيال وبقاء الحياة، ويتخذ الفيلم الذي كتبته أيضا المخرجة جوسلين صعب من التراث العربي القديم نماذج ابداعية لابن عربي وبشار ابن برد وحكايات ألف ليلة وليلة كوثائق ومستندات لتعامل العرب مع الابداع للتدليل على أن حاجز الخوف شيء مستحدث لا يوجد له أصل في التاريخ القديم، حيث امتلأت مجلدات الابداع العربي القديم بعبارات الغزل الصريح وصور الاباحية، ولم يكن هناك سقف لدى المبدعين في التعبير عن أرائهم ومكنون مشاعرهم الرومانسية والحسية، وكي يكون الكلام علميا غير مرسل اعتمدت جوسلين في تناولها للمحظور على ذاكرة استاذ جامعي مثقف «محمد منير» عكف على البحث والقراءة لاستخلاص المعاني الدقيقة من أمهات الكتب التراثية عامدا الى تأكيد حرية الفكر والابداع وتخليص العقل من شوائب الرجعية والتخلف، دافعا بزخم هذه الأفكار في اتجاه الأسئلة التي تثار داخل رأس الطالبة الجامعية «حنان ترك» عن

حنان ترك في لقطة من فيلم «دنيا»

مفهوم الجسد ومعنى الحب وأسباب المنح والمنع في هذا الخصوص، وحرية التعبير عن الرغبة أو التجرد منها وعلاقة ميولها الفطرية كفتاة تهوى الرقص بكل هذه الاشكاليات الصعبة!؟

تدور احداث الفيلم المتقن من الناحية الفنية حول تفاصيل كثيرة من هذا النوع تتداخل بطبيعة البناء الدرامي مع قضايا عصرية لها خصوصية شديدة في المجتمعات الشرقية مثل قضية ختان الاناث التي تقف منها المخرجة بحكم تكوينها التحرري ونشأتها الغربية موقف الرافض المتعصب، حيث تعتبر ذلك جريمة ترتكب يوميا تحت سمع وبصر المجتمع دون أن يكون هناك رادع أو قانون يحمي الاناث من هذا العدوان الصارخ.. وفيما ترى المخرجة اللبنانية الفرنسية ذلك عدوانا تؤمن على الجانب الآخر بحرية الجسد واستثماره وتدين موقف الرافضين للرقص باعتباره عملا فاضحا يثير الغرائز وربما كانت تلك الآراء هي التي أدت الى فقدانها التعاطف الجماهيري، ودخولها الشرك الاجتماعي بقدميها لتواجه هجوما عنيفا اثناء الندوة التي أقيمت لمناقشة الفيلم عقب عرضه في اليوم الخامس للمهرجان.

وأتصور أن الهجوم على المخرجة جاء لكونها خلطت بين حقها في الطرح والمناقشة بشكل مجرد وبين اباحتها للعلاقات الغريزية واستخدامها لدلالات يفهم منها تأييدها للنظرة الاستشراقية للعرب بكل ما تحمل من اتهامات وتجن.. فهي تقيم مقارنة بين الرقص الايقاعي المدروس الهادف الى استغلال المهارات الفنية الحقيقية وهو الامتياز الذي تتمتع به الفتاة الجامعية ويقبله المجتمع كفن حقيقي معترف به أكاديميا وبين انحرافات الجسد في شارع محمد علي، حيث التحريك الغريزي هو السلعة الرائجة لدى العوالم وأساطين الأفراح البلدي.. وقد أغفلت المخرجة الفروق الانسانية في التعامل مع وجهي العملة.. مطلقة أحكامها الشخصية على المجتمع ككل متهمة اياه بالغباء والجمود، غير أنها فشلت في صياغة أفكارها بشكل فلسفي يتناسب مع ما نوهت عنه في بداية الفيلم حول العلاقة الابداعية بمفهوم الحب، كما خانها ذكاؤها في النزول بأدواتها التعبيرية الى الاسراف في استخدام العري كوسيلة للمعالجة، خاصة في المشاهد التي كانت تجمع بين البطلة «حنان ترك» و «فتحي عبد الوهاب» الزوج الشهواني الذي لا يؤمن بوجود دور للمرأة الا في الفراش، وأيضا الاشارات المتكررة لحالات البرود الجنسي التي تعاني منها «عايدة رياض» و«سوسن بدر» نتيجة ختانهن وعكوفهن طوال الأحداث على اسداء النصائح الحسية لحنان ترك لاشعال رغبات زوجها تعويضا عن هذا النقص.

لا شك أن الفيلم تزاحم بالعديد من التفاصيل كان بعضها خارج السياق الدرامي ومثل وجهة نظر خاصة بالمخرجة وربما كان تجاوبا مقصودا مع صيحات المرأة المطالبة بالحرية. وهي التكأة لتبرير الجنوح والانحياز للأفكار الغربية بصدماتها الحضارية المتعارضة مع الفكر المحافظ في المجتمعات الشرقية التي لا تنكر على المرأة حقوقها ولكنها تضع معايير لا ترضي الطامحين في مزيد من الحرية ـ الساعين الى فضاء مطلق.

«قصائد ساذجة» للشاعر سعدي يوسف:

أسئلة شائكة حول مفهوم الشعرية

خالد زغريت*

سعدي يوسف (القدس العربي)

■ أسهمت تجربة الشاعر سعدي يوسف في مستوييها الشخصي والشعري في تغذية مدرسة شعرية، تجلت صورها في نتاج الشعر العربي الحديث، فقد مثل الشاعر على المستوى السلوكي نهجاً نضالياً ينتمي لمفهوم التغيير الثوري ،الذي لاقى استقبالاً أثيراً لدى الكتاب الجدد، فسار على خطاه كثر من مريدي الشعر الحديث. لم تجهض الظروف المحبطة أحلام سعدي يوسف بالسير بأقدامها على أرض الشعر، أما في المستوى الشعري فقد جسد الشاعر مقولات فكرية، تدفع الى ربط الشعر بالواقع، لقد مزج الشاعر بين حالتين تعبيريتين متصارعتين هما: الخطاب السياسي التحريضي بلغته النقدية الفاضحة والخطاب الشعري الرمزي بلغته الابداعية، فتجلت القصيدة لديه صورة لهذا الصراع، لكن الهم السياسي في متن قصيدة سعدي يوسف أسهم في تخميل الجمال:

أنا أيضاً أحب الجينز
والجاز وجزيرة الكنز
وببغاء جون سيلفر ونوافذ
نيو اورليانز
أحب مارك توين
ومراكب المسسبي
وكلاب أبراهام لنكولن
أحب حقول القمح والذرة
ورائحة التبغ والفرجيني
لكنني لست بأميركي
أيكفي أنني لست بأميركي
صماً يعيدني طيار الفانتوم
الى العصر الحجري.

ثمة أمثلة عديدة تحمل حضور التعبير السياسي الواقعي، ينحي المتن الشعري عن تجلياته الجمالية، فصار التعبير السياسي الأمين لواقعيته عثرة في تدفق الشعور الجمالي الذي يحقق صوراً فنية أشد ايغالاً في تكوين عناصرها الفنية الحرة لجمالها، فهو همّ يعوّق اكتشاف كنوز المخيلة في اللغة الشاعرية.

مشكلة سعدي يوسف أنه لا يبقى على مسافة بعيدة عن ضفاف الجمال فهو بارع في تقديم الصور الشعرية المميزة، عندما يرتد الى ذاته لحظة التكوين الشعري، ويعبر الى المضمر الشعري الجميل في المنظور المألوف، فيشكل منه ومضات شعرية، تتوهج بمشاعر حارة تجسد أنوارها في ألوان صورته الشعرية:

ليست الخيبة
أن تشعر بالخيبة
فالنهر كما تعرف
لا يعني طريق المأدبة
انما الخيبة في أن ينشف النهر
فيمس مسرباً للعربة
...
وفي الليل
في آخر الليل
تأتي اليّ الطيور وتأتي ذئاب البراري مبللة بالندى
وتأتي الغزالة
...
في آخر الليل
يأوي الى غاري السبعة الشعراء.

ان دعوة حرارة المشهد اليومي وطزاجة التسجيلي الواقعي للأحداث وفق منظور ايديولوجي – لا تحقق دائماً امتيازاً شعرياً، كون الشعرية اختياراً فنيا، يقوم على التصفية والتنقية في الصورة الشعرية وعلى مهارة بناء الدلالة الجديدة في المفردة اللغوية. لقد حفل ديوان قصائد ساذجة بالومضات الوصفية للمشهد البسيط اليومي، حالت دون تحرر الألق الشعري نتيجة خلوها من الالتقاط الفني لحرارة مشهديتها، واختراق سطح صورتها بألفته:

أمس
سهرنا في البالكونة
منطرحين على أرضيتها، نترطبُ
كان لساني خشباً
وقميصي أصباغ شفاه
...
أمس رأينا لقطات من فلم أمريكي
فعرفنا أن عواصمنا أيضاً
فيها فقراء
وزناة

لكن هذه الومضات التي تمشي كلماتها على ورق القصيدة حافية من شعرية مشحونة بوجدانية، تجذب القارئ، لها ما يقابلها في الديوان نفسه، نحظى بمستوى تعبيري أعلى رمزية، يتشكل عبر ومضات، تقوم على أسئلة الوجودية تبني العالم الشعري للقصيدة، يستحضر تساؤلات (بابلو نيرودا) الشعرية المعهودة في الذاكرة الثقافية:

شجرة اللوز
من أين جاءتها أزهار الثلج؟
شجرةُ اللوز
من أين جاءتها المناديل؟
المنفي لا يعرف الفصول.

يثير جمع سعدي يوسف هاتين الحالتين المتنافرتين فنياً في القصيدة أسئلة شائكة حول مفهوم الشعرية الذي يتبناه الشاعر في صياغة رسالته الشعرية، اذ يبني بهذا التداخل غير المتجانس اشكالات جمالية، ليست في صالح تألق قصيدته، لأنها تخلخل هندسة الشكل الفني فيها وانسياب تدفق المشاعر التي تعطي هذا الشكل روحه لذلك نجد قصيدة سعدي يوسف تبدد حيويتها الجمالية في تفتت صورها وحركة بنائها للفعل الدرامي:

بينما أجهزة التلفزيون
غنيمة المهزوم وهويته
كانت سليمة في الشاحنة
كأنها في واجهة مخزن بشارع ريفولي
القنبلة النيوترونية ذكية جداً
انها تميز بين هو وهوية

لا شك أن ديوان «قصائد ساذجة» يحقق الوحدة النوعية للمناخ الشعري الخاص بسعدي يوسف، لكن هذه التداخلات في الوحدات الشعرية بين المباشرة التسجيلية والترميز الفلسفي يشكلان خلخلة واضحة في حساسية المناخ الشعري في هذا الديوان ولا سيما عندما يعلو الصخب اللغوي في بناء المتن السياسي للشعر، وتلك حالة تجهض وهج القصيدة وتألقها ولطالما تجاهلها سعدي يوسف في نتاجه الغزير.

* ناقد من المغرب

«عندما نعود الى ذات الطريق» لفيليب تانسلان:

كتاب يشيد بفضائل الأدب وبنشوة العمل الجماعي المشترك

منتجب صقر*

■ مؤلف هذا الكتاب هو الفيلسوف الفرنسي فيليب تانسلان وهو بروفيسور في جامعة باريس الثامنة حيث يدرس مادة علم الجمال والمسرح. في عام 1991 أسس مع الشاعرة جنفييف كلانسي والأديب جان بيير فاي «المركز العالمي للدراسات الشعرية» وهو عبارة عن مؤسسة أكاديمية تعنى بالبحث العلمي وتفتح الطريق أمام الدراسات المتخصصة بالفلسفة والشعر وعلاقتهما بالعلوم الأخرى كالمسرح وعلم الجمال. كما أن له كتابات ودراسات متعددة في مجال الشعر والمسرح والفلسفة. من أهم مؤلفاته كتاب « فضائل الصمت» ومسرحية «حلم الحجارة» التي كتبها عام 1992 حيث ترجمت الى العربية وتم نشرها في مجلة «الكرمل» في العام ذاته.

ولكي يوضح الكاتب أفكاره فقد قسم الكتاب الى أربعة أجزاء: يعالج الجزء الأول مسألة الانتقال من التجربة الشعرية الفردية في الفلسفة والشعر الى التجربة الجماعية. وفي الجزء الثاني نراه يتطرق الى ماهية الشعر وكيفية انتقال التجربة الشعرية الى الآخرين. أما الجزء الثالث فيتناول موضوع مسرح الظل ثم يأتي الجزء الرابع ليستعرض تجربة بعض الفنانين التي تبدو للكاتب طوباوية في كل معاييرها.

واذا كان الكاتب يعالج أفكارا أساسية حول الشعر وطوباوية الفلسفة والمقاومة من خلال العمل على التجربة الفلسفية الجمالية فانه يوضح لنا امكانية البحث عن عالم يفيض بمعالم الجمال عبر العمل الجماعي المشترك الذي ما زال يعاني من التهميش في مختلف جوانبه.

يعلن الكاتب أن الممارسات الفكرية الجماعية هي الطريق الوحيد الذي يجعل من العالم مكانا قابلا للعيش طالما توفرت النيات الصادقة لدى المفكرين والكتاب وكل من يعمل في مجال الأدب للنهوض بالواقع الحالي للانسان والرقي به الى المستوى الذي يليق به. واذا افترضنا صحة هذه النظرية فان هذه الأفكار عليها أن تشهد ولادة رؤية فلسفية فاعلة في هذا السياق ألا وهي طوباوية سياسية تضع ديناميكية الكلام حيز التنفيذ مما يسمح في بإرساء الممارسة الفاعلة للحوار بين مختلف طبقات الشعب. ان مثل هذه الأفكار التي يطرحها كاتبنا في مقابلاته الصحافية تجدد الدعوة الى حث الخطى نحو طريق جديد لاحياء الفكر واعطائه الكلمة الأولى في المجتمع. فالكلمة الحق هي محرك الضمير الواعي حسب تعبيره.

من هنا تبرز الحاجة للعمل المشترك الذي يخدم القضايا الانسانية الكبيرة للكائن الانساني أينما وجد على سطح الأرض. وفي هذا الصدد يرى الكاتب فيليب تانسلان أنه على الانسان أن يعود الى ذاته قبل كل شيء كي يبعث الأمل في نفسه على مواصلة درب العطاء بما فيه خيره وخير نظرائه من بني البشر.

واذا كان العالم يشهد عولمة واضحة في كل مجالاته فان هذه التسمية أضحت ذريعة تستخدمها القوى الكبرى لتشريع هيمنتها الاقتصادية على مقدرات الشعوب الأخرى وتكريس عالم غير متكافئ الفرص يسوده قانون الغاب ومبدأ القوي الذي يأكل الضعيف. وهنا تأتي وسائل الاعلام المسموعة والمرئية لتتجاوز الحدود بين الدول ولتساهم في اثارة الضجة حول قضايا قد تكون في مجملها دعائية لا تخدم قضايا الشعوب النامية والبلدان الفقيرة في أطراف العالم قاطبة. يأتي نداء الكاتب عبر حواراياته وأجوبته المتعددة المسارات ليعيد لأذهاننا الصورة الجميلة للقيم الانسانية التي تشبثت بها أجيال من المفكرين والأدباء وكأنها الفضيلة الوحيدة التي يمكن أن تنقذ البشر من الويلات التي يجرها التنكر للآخر ولقضاياه العادلة.

هذه الهيمنة الواضحة، التي نبه اليها مفكرون كثر من أمثال ماركس وماكس فيبر عندما قالوا إنها ذريعة بيد الأقوياء كي يزدادوا في قوتهم على حساب البعض، تضاعف من أعداد الضحايا في عالمنا دون أن يتنبه الضمير العالمي لخطورتها ومدى تأثيرها على الشعوب الضعيفة كبلدان العالم الثالث. ومن هنا تزداد المسافات بعدا بين أطراف العالم الذي يقع فريسة للعنف بكل أشكاله فيصبح الانسان سجين ذلك العالم الاستهلاكي الذي يورد له كل شيء حتى أسباب شقائه. يقول الكاتب إن الحوار هو بصيص الأمل الذي يلغي المسافات بين البشر ويجعل من عالمنا أكثر فهما بعضه البعض، ويرى أن وسائل الاعلام تقف في أغلب الأحيان كشاهد مكتوف الأيدي تجاه الأحداث العالمية وتحوله الى مشاهد سلبي لا حول له ولا قوة، وكأن الخلاص يتجسد بالهروب نحو الأمام الى الهموم اليومية ومحاولة تمني النفس بأن هذه الأمور هي قدر لا مجال للانسان في التخلص من أوزاره. هذه الأفكار التي يذكر بها الكاتب من خلال تجربته الشخصية وتجارب كثير من الأدباء والمفكرين الذين سبقوه، تقوي ايمان القارئ بضرورة العمل الجماعي وأهميته في حياته من أجل الوصول الى حقيقة اجتماعية وسياسية أخرى أكثر قبولا وأشد تأثيرا في ضمائر أصحاب القرار أملا برفع مستوى الانسان على كافة الصعد اجتماعية كانت أم سياسية.

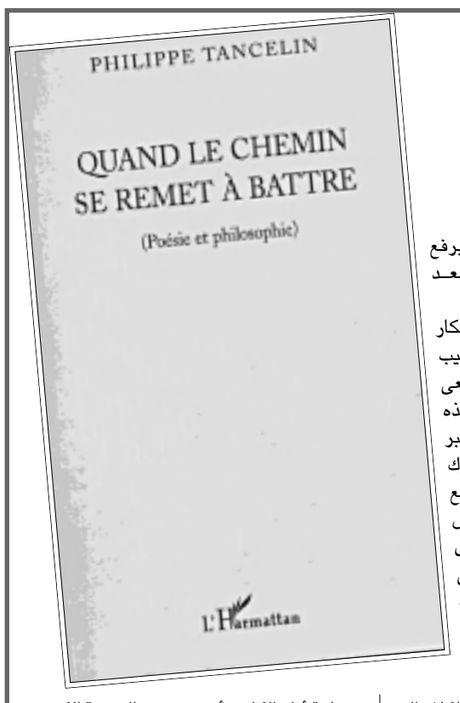

ان هذه المقابلات الفلسفية والأفكار الشعرية التي يطرحها الكاتب فيليب تانسلان تلقط أنفاس هذا الزمن وتسعى لدفع خطوات المقاومة الى الأمام، هذه الخطوات التي نسجها بكثير من الصبر والعناية والتي تشكل ثمرة عمل مشترك ومتواصل في مجال الشعر والمسرح مع الشاعرة جنفييف كلانسي طوال خمس وثلاثين سنة. ومن هنا يأتي هذا العمل كرد فعل ملح وكصرخة على الماحكات اليومية التي تعترض درب كاتب ملتزم كفيليب تانسلان في عالم ينغمس في صبغته الاقتصادية والسياسية الذي يدفع الكتاب بالخروج عن صمتهم ليعودوا بالكلام الى جذوره الانسانية الصحيحة والى منابع الحوار الفلسفي بين بني البشر جميعا.

ان هذه المداخلات التي تتضمن أفكارا طوباوية في معظمها قادرة على أن تخرج لتنادي ضمير العالم الحي وأن تعطى للقارئ أجنبيا كان أم عربيا القدرة على سماع نغمة هذا العالم القاسي عبر التذكير بفضائل الأدب وبنشوة العمل الجماعي المشترك الذي لا يغيب عن حديث فيليب تانسلان في كثير من المواضع.

يبدو لنا جليا من عنوان الكتاب أن المؤلف يولي أهمية كبيرة لمسألتي الشعر والفلسفة حتى أنه يضمنهما في العنوان الفرعي للكتاب الذي يظهر على شكل مقابلات تجريها الصحافية الفرنسية ماريا دينو مع الكاتب والتي يتم من خلالها التطرق الى مواضيع مختلفة أراد الكاتب أن يخصص الحصة الكبرى منها لتجربته الشعرية والفلسفية في العمل الجماعي المشترك مع أخته الشاعرة جنفييف كلانسي. هذه التجربة الجماعية كانت قد ازدهرت في الستينات والسبعينات من القرن الماضي حتى أضحت **بمثابة طريقة عمل تميزت بها الكثير من الأعمال الأدبية والمسرحية.**

* مسرحي من سورية يقيم في باريس

عنوان الكتاب: « عندما نعود الى ذات الطريق» (في الشعر والفلسفة)

battre Le titre : Quand le chemin se remet (Posie et Philosophie)

اسم المؤلف: فيليب تانسلان Auteur :Philippe TANCELIN

الناشر: لارماتان ـ باريس Editeur :L'Harmattan Paris 2005

الصفحات:277 من القطع الكبير.

فيلمان تونسيان في مهرجان كان الفرنسي

■ تونس ـ اف ب: تشارك تونس في مهرجان كان السينمائي الدولي الذي يقام خلال الفترة من 17 الى 28 ايار/مايو المقبل في هذه المدينة الفرنسية المطلة على البحر المتوسط ضمن القسم الجديد للمهرجان «كل سينمات العالم» كما اكدت المخرجة التونسية سلمى بكار لوكالة فرانس برس.

وقالت سلمى بكار في اتصال هاتفي مع فرانس برس من مرسيليا حيث تشارك في تظاهرة ″السينما التونسية النسائية» ان فيلمها الجديد «خشخاش» او (زهرة النسيان) وفيلم ″خرمة» للجيلاني السعدى سيشاركان في الدورة القادمة لمهرجان كان الفرنسي ضمن قسم ″كل سينمات العالم» وهو قسم جديد استحدث العام الماضي.

ويهدف هذا برنامج الذي بدا بتكريم السينما المغربية «الى اعطاء الفرصة لدول معينة لتقديم ملخص تاريخي عن الحركة السينمائية بها» وفق ما اعلنه المنظمون الفرنسيون.

وعبرت سلمى بكار عن سعادتها ب″هذه المشاركة التى تشكل فرصة ذهبية للفيلم للنفاذ الى القاعات الاوروبية والتعريف اكثر بالسينما التونسية والدفع بها داخل هذا المحفل الذي يعد اشهر تجمع سينمائي وابرزه في العالم».

ويروى فيلم «الخشخاش» او «زهرة النسيان» مأساة زكية الزوجة التي تعاني من الحرمان الجنسي والعاطفي بسبب شذوذ زوجها الذي فرضته عليها عائلتها بسبب غناه ما يدفعها الى ادمان نبتة الخشخاش المخدرة للتغلب على ازمتها لكن الادمان ادى الى تدهور صحتها واعصابها لتجد نفسها نزيلة مستشفي الامراض العقلية حيث تبدا حياة جديدة مع نزلائه الذين هم ايضا ضحية «اخطاء اجتماعية فادحة″.

الفيلم وهو انتاج مشترك تونسي مغربي يشهد منذ بداية عرضه على الشاشات التونسية في 18 كانون الثاني/يناير الماضي اقبالا جماهيريا واسعا.

اما الفيلم الثاني المشارك في التظاهرة فهو «خرمة» على اسم الشخصية الرئيسية فيه فيتناول موضوعا غير مؤلوف حيث يصور حياة سكان القبور وكيف يصبح الدعاء بكثرة الاموات الامنية اليومية لهؤلاء الاشخاص الذين يعتمدون على الموتى في كسب رزقهم.